



الهجرة القسرية
في
شمال وشرق سوريا





الهجرة القسرية في شمال وشرق سوريا

مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية

NRLS

(بحث تم نشره في مجلة دراسات استراتيجية العدد 13-14 الصادرة عن مركز روج آفا للدراسات الاستراتيجية (NRLS)

nrls@nrlsrojava.com

+963 993 822 054

www.nrls.net

حقوق الطبع والنشر محفوظة

2024

nrls.rojava
 nrls_rojava
 nrlsrojava
 nrlsrojava

www.nrls.net
 nrls@nrlsrojava.com
 00963993822054



Introduction

مقدمة

تعد الهجرة بمفهومها العام ظاهرة طبيعية، وتکاد تكون شائعة عند معظم الكائنات الحية، فالهجرة الموسمية تُعرف بأنها انتقال الكائنات من منطقة لأخرى أو من مناخ إلى آخر حسب الدورة السنوية لتغيرات الطقس ودرجات الحرارة. ويُشذ الإنسان ككائن عن هذه القاعدة في معظم الأحيان بسبب قدرته على إعادة هندسة البيئة المحيطة به، ومرونة مجتمعاته في التكتل والتحول إلى شعب أو حتى أمة مستقرة في جغرافية ما؛ على الرغم من ذلك لا يستطيع الإنسان أن ينأى بنفسه عن هذه الظاهرة؛ خاصة عندما تفرض عليه ظروف لا طاقة له على مُسairتها أو التكيف فيها أو التأقلم معها.

لا تزال البشرية منذ قديم الزمان في حالة تحرك وتنقل، فقد حدثت هجرات بشرية كبرى منذ الألف العاشر قبل الميلاد، والدافع الرئيسي وراء ذلك تلبية الاحتياجات الفيزيولوجية، وبمعنىً أدق نسبياً تأمين حماية الذات، تحرضه غرائزه على الاستمرار في الحياة؛ فمع التزايد المطرد للأعداد البشر بالتوالي مع تغيرات المناخ التي شهدتها العالم في نهاية العصر النبوليتي، بدأت المجتمعات البشرية بالتمرر في الجغرافيات التي تؤمن لها متطلبات الحياة، على ضفاف الأنهار وشواطئ البحار، وسفوح الجبال والسهول الخصبة، وتأتّرت عقيدة قتالها حول الدفاع عن جغرافيتها التي يراها مصدرًا لطاقة استمرار حياته؛ ربما ساهم هذا الأمر أيضًا في نشوء الميثولوجيات ومن بعدها الأديان البدائية(*)، كنتيجة لتطور مفاهيم الإنسان حول المكان والزمان في نشوء الخلق، وإساغ صفة القدسية على مناطق معينة وبناء المعابد فيها، والتي يبدو أنها مهدت لفكرة تقدس الوطن.

ولدى الإمعان في مختلف الأبحاث والدراسات الانثربولوجية والأركيولوجية، يمكن ملاحظة التفاعل بين الجغرافيا وتفكير الإنسان في كيفية تأمين الحياة بشتى الوسائل المتاحة، ودور ذلك في نشوء الثقافة بمفهومها العام، التي ساهمت في صياغة مفهوم الوطن مع مرور الزمن، وبات الوطن ذو رمزية مقدسة في ثنائية الأرض والثقافة؛ هذه الثنائية أصبحت الهوية التي تميز الإنسان ومجتمعه عن الآخرين، وعاملًا لنشوء شعب ما.

يبدو أن الوطن أصبح عائقاً أمام الهجرة، فلم يعد بإمكان الآخرين الهجرة إليه بسهولة، وأصبحت الهجرة منه مؤشراً على وجود خطر يهدد أمن الإنسان في هذا الوطن، وفسر طرد البشر من أوطانهم كأنها كانت خطيرة لحقوق الإنسان، وهذا ما نجده في معظم بلدان العالم في تاريخنا المعاصر الذي يعج بالأزمات السياسية والاقتصادية، وأصبحت مغادرة أماكن الإقامة الدائمة عمليات تهجير ممنهجة لأهداف سياسية أكثر من كونها ظاهرة طبيعية، وذلك بفعل هذه الأزمات التي ساهمت بوضع مصطلحات اللجوء والنزوح والتهجير في صدارة التقارير والأبحاث ذات الصفة الحقوقية أو الإغاثية أو السياسية.

يعتبر كلاً من اللجوء والنزوح والتهجير من أبرز التحديات التي تواجه المجتمعات المستقرة حول العالم، فهي نتيجة لمشكلات سياسية واقتصادية واجتماعية وبيئية، وليس حلًا لها، حتى أنها يمكن أن تتسبب بتفاقم هذه المشكلات أو التسبب بمشكلات أخرى مماثلة في المكان الذي يتم الانتقال إليه؛ وتعد عمليات اللجوء والنزوح والتهجير التي تسببت بها القوى الفاعلة في الأزمة السورية منذ عقد من الزمن مثال بارز على هذه التحديات.¹

* يعتبر علماء الاجتماع أن أصل البيانات يرجع إلى تقدير الحيوان وعبادته (تيتو تيميزم)، أو تعظيم الأشجار. على أن علماء آخرين يذهبون إلى أن تأله الحيوان أو الجماد إنما جاء على أنه رمز للإله المعنوي أو الآلهة أو القوى غير المنظورة السامية على الطبيعة.. واعتبر فريزر في كتابه "الغضن الذهبي" أن الدين مقتبس من عصر السحر، وأن الدين هو التوفيق بين القوى التي تعلو على الإنسان، تلك القوى التي يعتقد الإنسان أنها توجه الطبيعة والحياة الإنسانية وتحكمها. وعند "هبربرت سبنسر" في كتابه "مبادئ الاجتماع" أن أصل العبادة كلها الرجل الميت. وعند الدكتور جيفونز في كتابه "مقدمة لتاريخ الدين في 1896" أن الدين الأولى يرجع إلى "التيتو تيميزم" عبادة الحيوان. وعند "تايلور" في كتابه "الثقافة الأولية" أن الاعتقاد في الكائنات مسألة روحية. وعند الدكتور روبرتسون في كتابه "محاضرات عن ديانة الساميين" أن الطقوس الدينية مسألة أولية. أما العقائد والأساطير فمسألة ثانوية...
للمزيد: عبد الله حسين؛ تاريخ ما قبل التاريخ؛ الناشر: مؤسسة هنداوي- المملكة المتحدة/ 2012م؛ بلا رقم طبعة؛ ص.90.

تشكل ظاهرة الهجرة، طوعية كانت أم قسرية، تحدياً كبيراً أمام مجتمعات شمال وشرق سوريا وإدارتها الذاتية؛ على الرغم من ذلك لم تلق هذه الظاهرة الاستجابة اللازمة من قبل السياسيين والباحثين والمثقفين والذين ينبعون من الأجتماعية، خاصة أنها لا تزال مستمرة وبوتيرة مقلقة، وتتجه إلى التسبب بأزمات اقتصادية واجتماعية، وإضعاف قدرات الدفاع الذاتي للمجتمعات المحلية، عدا عما تسببه الهجرة من مخاطر ومشاكل للمهاجرين أنفسهم، سواء في طريق الهجرة أو في بلد المهاجر نفسه؟

في خضم الأزمة التي تشهدها سوريا لم يعد ممكناً وصف الهجرة من شمال وشرق سوريا بالظاهرة الطبيعية، بسبب العوامل الذاتية والموضوعية التي أفرغت الآلاف على الهجرة؛ فمنذ أكثر من عقد باتت كل من الأيديولوجيات المتطرفة والنزعات البراغماتية والتنافسية في العلاقة الدولية تفعل فعلها في تمزيق النسيج الوطني للمجتمعات القاطنة في الجغرافيا المسمى حالياً "سوريا" من خلال ممارسة الاستبداد ونشر خطاب الكراهية، القومية والدينية والطائفية، والتسبب بأزمة اقتصادية بالتزامن مع التغيرات السلبية للمناخ والتدهور البيئي التي تشهدها المنطقة.

لقد تسببت الأزمة السورية بتغيرات ديمografية كبيرة وخطيرة في الجغرافيا السورية، حيث اضطر ملايين المواطنين إلى ترك ديارهم وممتلكاتهم، أما من خلال النزوح أو الهجرة إلى خارج البلاد، حيث قدرت مفوضية الأمم المتحدة لشؤون اللاجئين⁽²⁾ عدد الذين اضطروا إلى النزوح عبر الحدود بسبب النزاعات المسلحة في سوريا بـ 5.5 مليون لاجئ في عام 2021م، بفعل عوامل القلق والخوف واليأس وعمليات التهجير، التي أوجدتها القوى السياسية والتنظيمات المتطرفة المؤثرة في هذه الأزمة؛ وسخرت هذه العوامل كأدوات سياسة موجهة ومكرسة في سبيل تحقيق هيمنة سياسية وعسكرية وأيديولوجية على شمال وشرق سوريا، وذلك بالاستناد إلى العشرات من التقارير الحقوقية والاعتذارات العسكرية من قبل دول إقليمية، والنشاطات السرية لأصحاب الأيديولوجيات المتطرفة وما تقوم به من عمليات تخريبية من تنظيم داعش وأخواتها، بالإضافة إلى حالة الحصار الاقتصادي المفروض على المنطقة من خلال اعتراض كلاً من تركيا وروسيا⁽³⁾ وإيران والنظام السوري على فتح المعابر الدولية في المنطقة والضغط لمنع الاستثمارات في المنطقة، بالإضافة إلى ما تشهده من تهميش سياسي من قبل المجتمع الدولي بخصوص النقاشات السياسية المتعلقة بحل الأزمة السورية.

اضطر حوالي مليون مواطن من شمال وشرق سوريا إلى الهجرة عن مناطقهم بفعل عوامل القلق والخوف والترحيل القسري والانجداب إلى إغراءات البلدان الغنية؛ وفي الواقع المعاش لم تعد هذه العوامل بحاجة إلى البرهان على صحتها، بل تحولت إلى أمر يعيشه معظم السوريين، وأصبح الحال وكأنه تهجير ممنهج لإحداث تغيرات ديمografية كبيرة على أساس عرقية ودينية وطائفية، الفاعل الرئيسي فيها قوى محلية وإقليمية ودولية، تعمل على تمكين هيمتها في مناطق معينة، لتأمين مصالح اقتصادية أو سياسية أو عسكرية.

تعد الأوضاع الأمنية والاقتصادية، التي يتحمل جزء كبير من مسؤوليتها كلاً من تنظيم داعش وتركيا والفصائل الموالية لها والنظام السوري، من العوامل الرئيسية في عمليات التهجير التي تجري في شمال وشرق سوريا منذ عقد من الزمن، بسبب تمكينهم لكل من عامل القلق والخوف وعامل الترحيل القسري، في تحقيق سياستهما المتعلقة بعمليات التهجير الممنهج، بينما يأتي عامل الإغراء كفاعل ثانوي في عملية التهجير وتقع مسؤولية تمكينها على كل من الدول الغربية وضعف أداء الإدارة الذاتية في معالجة العوامل الذاتية لمشكلة الهجرة والتهجير. هذا الأمر يفرض دراسة ومناقشة ظاهرة الهجرة والتهجير، وتحليل العوامل الكامنة وراءه، بهدف إيجاد الحلول الممكنة للحد منها.

² شبكة الصليب الأحمر والهلال الأحمر لنقاط الاتصال حول الهجرة في إقليم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا، التقرير الإقليمي الأول حول الهجرة في إقليم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا؛ الناشر: شبكة نقاط الاتصال حول المиграة - إقليم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا/2021م.

³ سوريا: الفتو الروسى سيفق شريان الإغاثة الأخير؛ تاريخ النشر: 10 حزيران 2021م؛ الرابط: <https://www.hrw.org/ar/news/2021/06/10/378875>

أولاً- ظاهرة الهجرة.

تعد الهجرة ظاهرة عالمية وتاريخية، ونالت اهتمام الكثير من الباحثين في مجالات علم الاجتماع والسياسة والاقتصاد، ولم تعد محصورة في إطار مفهومها اللغوي، بل استبانت منها العشرات من المصطلحات التي تعبّر عن قضايا اجتماعية وسياسية واقتصادية؛ كالهجرة الطوعية والهجرة القسرية والهجرة الموسمية والهجرة الدائمة والهجرة المؤقتة وغيرها⁽⁴⁾، وعلى أساس هذه المفاهيم برزت مصطلحات النزوح واللجوء والترحيل القسري أو التهجير. وتصنف جميع هذه المصطلحات بالاستناد إلى دافعين وهما دافع الضرورة ودافع الاختيار، كما أن لها جانبًا إيجابيًّا أحياناً وجانبًا سلبيًّا أحياناً آخرًا وخاصة في مسائل التنمية الاقتصادية.

► مفهوم الهجرة وتعريفها.

الهِجْرَةُ كاسم بحسب قاموس المعاني الإلكتروني تعني "الخروج من أرضٍ إلى أخرى... انتقال الأفراد من مكانٍ إلى آخرٍ سعيًا وراء الرزق.." ⁽⁵⁾

أما الهجرة كمُصطلح يعني "انتقال أو تحول لفرد أو جماعة من دولة اعتادوا الإقامة فيها إلى دولة أخرى لا يحملون جنسيتها لغرض الإقامة فيها... ترك الوطن إلى بلد غيره للإقامة فيه... رحيل إلى بلد آخر والعيش فيه بصفة دائمة..."⁽⁵⁾

وتعُرف الهجرة كمُصطلح متداول بأنها "حركة البشر، سواء داخل بلد أو عبر الحدود الدولية. وتشمل جميع أنواع الحركات، بغض النظر عن الدوافع ومدتها وطبيعتها طوعية / غير طوعية. وتشمل المهاجرين لأسباب اقتصادية، والمهاجرين بسبب ضنك المعيشة، والنازحين داخلياً، واللاجئين، وملتمسي اللجوء والعائدين والبشر من ينتقلون لأغراض أخرى، بما في ذلك التعليم وجمع شمل الأسرة"⁽⁶⁾

وتعُرف وكالة الهجرة التابعة للأمم المتحدة (IOM) المهاجر بأنه⁽⁷⁾ "أي شخص ينتقل أو انتقل عبر حدود دولية أو داخل دولة بعيداً عن مكان إقامته المعتاد، بغض النظر عن وضعه القانوني، وفيما إذا كانت الحركة طوعية أو غير طوعية، وأسبابها ومدة الإقامة...".

بشكل عام تلعب الحاجات الفيسيولوجية والنزعة الفطرية للبحث عن الأمان، المعنوي والمادي، المؤثرات الرئيسية في عمليات الهجرة؛ وتثير العوامل الموضوعية في البيئة المحيطة التي تهدد عددًا من هذه المؤثرات، كالأمن مشاعر القلق والخوف واليأس التي تدفع الإنسان في بعض الأحيان إلى الاستجابة لهذه التهديدات بمعاهدة المكان الذي يقيم فيه بشكل دائم أو مؤقت.

► أنواع الهجرة.

على الرغم من تعدد أنواع الهجرة إلا أنه يمكننا التركيز على نوعين رئисين، هما:

1. الهجرة الطوعية:

وتتم عن سابق تمعن وتفكير وقد تكون هجرة فردية أو جماعية، وللمزيد أن يختار ما يحمله معه من مستلزمات أو ما لا يحمله، فليس هنالك مهدد مفاجئ لحياته⁽⁸⁾ أما المهاجر وفقاً لهذا النوع من الهجرة، هو الشخص الذي ينتقل سواء بصورة فردية أو جماعية من موقع إلى آخر بحثاً عن وضع أفضل اجتماعياً أو اقتصادياً أو دينياً أو سياسياً. علماً أن هذا الانتقال إرادي وطوعي التماساً لحياة أفضل.

⁴ هناك أيضاً الهجرة الدائمة والمؤقتة والهجرة الشاقولية والهجرة الأقافية والهجرة الخارجية والهجرة الداخلية... الخ

⁵ معجم المعاني (الإلكتروني)، تعريف ومعنى هجرة في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي؛ الرابط: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/هجرة/>

⁶ منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة؛ الهجرة؛ الرابط: <https://www.fao.org/migration/ar/>

⁷ موقع الأمم المتحدة؛ الهجرة؛ قضايا عالمية؛ الرابط: <https://www.un.org/ar/global-issues/migration/>

⁸ انظر: د. إبراهيم دراجي؛ اللجوء والنزوح والهجرة؛ الناشر: الموسوعة العربية، بلا رقم طبعة وتاريخ نشر ، الرابط:

<https://arab-ency.com.sy/law/details/25685/6>

وهناك البعض من الباحثين يصفون الهجرة الطوعية، بالهجرة الاقتصادية⁽⁹⁾ وهو مصطلح يعبر عن الهجرة من منطقة إلى أخرى، أو من دولة إلى أخرى بكمال الإرادة وبشكل حر بناءً على قرارات الفرد نفسه، وبالتالي هي هجرة اختيارية مبنية على بعض الأسباب التي يقررها الشخص المهاجر والتي في أغلب الأحيان تكون أسباباً اقتصادية. ونصّت المواثيق الحقوقية الدولية على حق الفرد في الهجرة الطوعية بشكل قانوني، فقد نص الإعلان العالمي لحقوق الإنسان على هذا الحق في المادة (13) منه التي تؤكد أنه "يحق لكل فرد أن يغادر أي بلاد بما في ذلك بلدـه كما يحق له العودة إليه"; ونصـ الإعلان العالمي لحقوق الإنسان: "يسـمح بـدخول زوج الأجنـبي المـقيم بصورة قانونـية في إقليم دولة ما وأـولادـه القـصر أو المعـالـين لمـصاحـبـته والإـقامـة معـه...".

في عام 2020م كان يعيش مائتان وثمانون مليون شخصاً خارج بلدانـهم الأصلـية⁽¹⁰⁾ وأـكثر من مليـار شخص قامـوا بالـهـجـرـةـ دـاخـلـياًـ،ـ كـثـيرـ مـنـهـمـ يـنـتـمـونـ إـلـىـ الـمـنـاطـقـ الـرـيفـيـةـ؛ـ لـقـدـ تـعـدـدـتـ الـأـسـبـابـ الـتـيـ تـدـفـعـ إـلـىـ الـهـجـرـةـ⁽¹¹⁾ـ،ـ فـالـنـاسـ تـهـاجـرـ لـأـسـبـابـ اـقـتـصـادـيـةـ،ـ وـمـنـهـمـ يـنـتـمـونـ إـلـىـ الـمـنـاطـقـ الـرـيفـيـةـ؛ـ لـقـدـ تـعـدـدـتـ الـأـسـبـابـ الـتـيـ تـدـفـعـ إـلـىـ الـهـجـرـةــ،ـ أـكـادـيـيـيـ ومـعـرـفـيـ،ـ أوـ إـلـاقـمـةـ مـعـ أـخـوـةـ الـمـعـتـقـدـ،ـ وـهـذـاـ مـاـ يـنـدـرـجـ فـيـ إـطـارـ الـهـجـرـةـ الـطـوـعـيـةــ.ـ وـوـفـقـاـ لـتـقـرـيـرـ الـهـجـرـةـ الـعـالـمـيـةـ لـعـامـ 2020ـ الصـادـرـ عـنـ الـمـنـظـمةـ الـدـولـيـةـ لـلـهـجـرـةـ⁽¹²⁾ـ قـدـرـ عـدـدـ الـمـهـاجـرـ الـدـولـيـنـ اـعـتـبـارـاـ مـنـ حـزـيـرانـ 2019ـ بـنـحـوـ 272ـ مـلـيـونـاـ عـلـىـ مـسـتـوىـ الـعـالـمـ،ـ بـزـيـادـةـ 51ـ مـلـيـونـ عـنـ عـامـ 2010ـ.ـ وـكـانـ ثـلـاثـاهـ تـقـرـيـباـ مـنـ الـعـمـالـ الـمـهـاجـرـينـ.ـ وـشـكـلـ الـمـهـاجـرـونـ الـدـولـيـلـونـ 3.5ـ فـيـ مـائـةـ مـنـ سـكـانـ الـعـالـمـ فـيـ عـامـ 2019ـ.ـ وـهـذـاـ مـقـارـنـةـ بـنـسـبـةـ 2.8ـ%ـ فـيـ عـامـ 2000ـ،ـ وـ2.3ـ%ـ فـيـ عـامـ 1980ـ.

2. الهجرة القسرية:

وهي هجرة إجبارية بطبيعتها، ويتم الإضطرار إليها عادة جراء الحروب والصراعات السياسية، أو بسبب عوامل طبيعية مثل الزلازل والبراكين والجفاف، أو بسبب البطالة أو انتشار الأوبئة، وأحياناً بسبب المشروعات التنموية الكبرى كبناء السدود والمدن الجديدة. وتتشعب من مصطلح الهجرة القسرية مصطلحات النزوح واللجوء والتهجير؛ فإذا حدثت هذه الهجرة⁽¹³⁾ داخل نطاق الوطن الواحد تُسمى "نزوح" ويطلق على الشخص القائم بفعل الهجرة نازح في مكان إقامته الجديد داخل نفس البلد، فالنازحون هم "الأشخاص أو مجموعات من الأشخاص الذين أجروا على هجر ديارهم أو أماكن إقامتهم المعتادة فجأةً أو على غير انتظار أو من دون سابق تحطيط بسبب صراع مسلح أو نزاع داخلي أو انتهاكـاتـ منـظـمةـ لـحـقـوقـ إـلـيـانـ أوـ كـوارـثـ طـبـيـعـيـةـ أوـ مـنـ صـنـعـ إـلـيـانـ وـهـمـ لـمـ يـعـبـرـواـ حدـودـ أـيـةـ دـولـةـ مـعـتـرـفـ بـهـاـ دولـيـاـ".⁽¹⁴⁾

وإذا أجبر الشخص أو مجموعة أشخاص على ترك بلادهم خوفاً من الإضطهاد، أفراداً أم جماعات، لأسباب سياسية أو دينية أو عسكرية أو لأسباب أخرى، سُمي ذلك "الجوء" ويطلق على الشخص القائم بفعل الهجرة لاجئ أو طالب لجوء في دولة المقصـدـ؛ـ وـوـفـقـاـ لـاتـفـاقـيـةـ 1951ـ بـشـأنـ الـلـاجـئـينـ⁽¹⁵⁾ـ يـعـرـفـ الـلـاجـئـ علىـ أـنـ كـلـ شـخـصـ يـوـجـدـ خـارـجـ دـولـةـ جـنسـيـتـهـ بـسـبـبـ تـخـوـفـ مـبـرـرـ مـنـ التـعـرـضـ لـلـاضـطـهـادـ لـأـسـبـابـ تـرـجـعـ إـلـىـ عـرـقـهـ أوـ دـينـهـ أوـ جـنسـيـتـهـ أوـ اـنـتـمـائـهـ لـعـضـوـيـةـ فـتـةـ اـجـتـمـاعـيـةـ مـعـيـنـةـ أوـ آـرـائـهـ السـيـاسـيـةـ،ـ وـأـصـبـحـ بـسـبـبـ ذـلـكـ التـخـوـفـ يـفـتـقـرـ إـلـىـ الـقـدـرـةـ عـلـىـ أـنـ يـسـتـظـلـ بـحـمـيـةـ دـولـتـهـ أـوـ لـمـ تـعـدـ لـدـيـهـ الرـغـبـةـ فـيـ ذـلـكـ".

⁹ د. أيمن زهري؛ الهجرة الدولية/الحالة المصرية؛ الناشر: المجلس القومي للسكان/وزارة الصحة والسكان المصرية- 2020؛ بلا رقم طبعة.

¹⁰ منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة/ بوابة دعم السياسات والحكمة؛ الهجرة؛ الرابط:

<https://www.fao.org/policy-support/policy-themes/migration/ar/>

¹¹ الاتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر CIFRC؛ الهجرة والتزوح؛ الرابط:

<https://www.ifrc.org/ar/>

¹² موقع الأمم المتحدة؛ قضـاياـ عـالـمـيـةـ الـهـجـرـةـ؛ـ الرابـطـ:

<https://www.un.org/ar/global-issues/migration>

¹³ إبراهيم دراجي؛ اللجوء والتزوح والهجرة؛ الناشر: الموسوعـةـ العـرـبـيـةـ؛ـ بلاـ رقمـ طـبـعةـ وـتـارـيخـ نـشـرـ؛ـ الرابـطـ:

<https://arab-ency.com.sy/law/details/25685/6>

¹⁴ نفس المرجع السابق.

¹⁵ موقع الأمم المتحدة؛ اللاجئون والمهاجرون- تعريف؛ الرابط:

<https://refugeesmigrants.un.org/ar/definitions>

أما التهجير أو الترحيل فهو ظاهرة تؤثر على سكان منطقة خاضعة للاحتلال أو الغزو؛ ويشير التهجير إلى نقل مدنيين بالقوة من المنطقة التي يقيمون فيها إلى منطقة تابعة للسلطة القائمة بالاحتلال أو منطقة أخرى، سواء كانت محظلة أم لا؛ وهو يختلف النزوح. ويُحظر الترحيل الفردي أو الجماعي بموجب اتفاقية جنيف الرابعة (المادة 49) بغض النظر عن دوافعه⁽¹⁶⁾

ووفقاً للمفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين، بلغ عدد النازحين قسراً حول العالم 79.5 مليون في نهاية عام 2019. ومن هؤلاء، كان 26 مليوناً من اللاجئين، ونحو 45.7 مليون شخص داخلياً، و4.2 مليون طالب لجوء. إلا أن هذه الأرقام أصبحت أضعافاً استناداً إلى الأزمات السياسية والاقتصادية، والكوارث الطبيعية التي مر بها العالم منذ العام 2020م. كما ويسكب النمو السكاني السريع في بعض البلدان النامية والفقيرة ضغوطاً تدفع باتجاه الهجرة، من خلال تضاؤل فرص العمل ونقص نظم الخدمة الاجتماعية.

استناداً إلى الأزمات والكوارث والتغيرات العقائدية التي يمر بها العالم عامة، والشرق الأوسط خاصة، يمكن ملاحظة أن الهجرة القسرية باتت التعبير الرئيسي عن عمليات نقل وانتقال مجموعات كبيرة من البشر عن مناطق سُكناهم، ولم يعد مفهوم الهجرة الطوعية كظاهرة طبيعية ينال الكثير من الاهتمام في الأبحاث والتقارير المؤوثة في مجال الدراسات الاجتماعية والاقتصادية الخاصة بحركة المجموعات البشرية بعيداً عن مواطنها الأصلية التي تشهد الأزمات والكوارث والتغيرات؛ لذلك هناك العديد من العوامل الذاتية والموضوعية التي تجبر البشر على الرحيل عن مواطنهم، وذلك استناداً إلى ما يتم ملاحظته من مشاهد الإستماتة وما يلقونه من مخاطر من أجل الوصول إلى البلدان الغنية أو باتجاه المناطق الآمنة نسبياً عبر الجبال والبحار والغابات والثلوج والحدود المسورة بالبنادق والأسلاك الشائكة.

► الهجرة القسرية، أنواعها وأسبابها.

بالاستناد إلى التعريف الذي تم تقديمها عن الهجرة القسرية في الفقرة السابقة، يمكننا تمييز نوعين من هذه الهجرة:

3. الهجرة القسرية المباشرة:

وتتمثل بعملية التهجير، وهي عملية إجبار أشخاص أو مجموعة بشرية على الرحيل عن موطنهم بوسيلة ما لأهداف سياسية.

لقد أصبح التهجير سمة مميزة لسياسة القوى المتباعدة لأيديولوجيات دينية وقومية متطرفة⁽¹⁷⁾، والساugesية لفرض تسلطها على جغرافية ما؛ وباتت سياسة تشهدها معظم بؤر التوتر في العالم التي تنشط فيها تلك القوى وتتصارع فيما بينها، خاصةً منذ بداية القرن العشرين، وتحتل الشرق الأدنى صدارة هذا المشهد، حيث ازدادت وتيرة عمليات التهجير في خضم الأزمات التي تمر بها كلّاً من الدول، سوريا والعراق وتركيا والأراضي الفلسطينية، بفعل الأيديولوجيات المتطرفة، التي تسببت بمعاناة مئات الآلاف من البشر بعد ترحيلهم عن مناطقهم وإسكانهم في مناطق أخرى بعيدة في مخيمات بائسة أو منازل متهالكة أو ضواحٍ فقيرة، وتوطين آخرين في معظم الأحيان مكانهم، في مستوطنات أنشأت خدمة لأجندة سياسية قائمة على إبادة ثقافة شعب ما وتوطين ثقافة أخرى غريبة عن خصائص الجغرافيا الثقافية⁽¹⁸⁾ في المنطقة التي شكلت هوية وثقافة الشعب المُهجّر منذ قرون خلت.

¹⁶قاموس العملي للقانون الإنساني؛ ترحيل؛ الرابط:

[/https://ar.guide-humanitarian-law.org/content/article/5/trhyl](https://ar.guide-humanitarian-law.org/content/article/5/trhyl)

¹⁷ د. موسى سمحان، الهجرة القسرية: التعريف، التصنيف، الأنماط، الدوافع، التيارات والآثار؛ الناشر: الجامعة الأردنية/ 1989م؛ بلا رقم طبعة.

¹⁸ الجغرافيا الثقافية هي إحدى فروع الجغرافيا، وتعرف بشكل عام بأنها العلم الذي يدرس العلاقة بين المكان والثقافة، وكيفية تشكيل القيم والمارسات الثقافية وطريقة انتشارها، والتي تشكل المعاني والهويات الخاصة التي تغير كل مجتمع... للمزيد راجع: مالك كرانغ، الجغرافيا الثقافية/ أهمية الجغرافيا في تفسير الطواهر الإنسانية؛ ترجمة: د. سعيد منتق؛ الناشر: عالم المعرفة- الكويت / 2005، بلا رقم طبعة.

أحياناً قد يقاوم الإنسان خوفه ويصبر على ظروفه القاسية من أجل التمسك بموطنه، من خلال التسلح بثقافته أو التحسن بعقيدة روحانية أو الاستقواء بمعنويات يستمدّها من أيديولوجية ما، هنا يزداد وضوح معنى التهجير كسياسة تأمّرية، عندما تعمد قوّة سياسية ما، سواء أكانت دولة أو تنظيماً أو جماعة، إلى قمع إرادة البقاء في المكان، وترحيل الإنسان رغمَ عنه بالقوة والترهيب؛ وما يلفت النظر أنّ الذي يرغّم أنسانًا على الرحيل هو إنسانًا آخر يتذرّع بعقيدة روحانية مخالفة أو متّحرّض بفعل أيديولوجية إقصائية؛ يُخمد من خلالها مشاعره الإنسانية وينبذ التسامح، ويؤجّج العدوانية تجاه الآخر المختلف والتي يشكّل التهجير أحد مظاهرها.

4. الهجرة القسرية غير المباشرة:

يرتكز هذا النوع من الهجرة القسرية على فكرة إرغام الآخرين على الهجرة أو تهجيرهم من خلال بث مشاعر القلق والخوف واليأس في نفوسهم، بوساطة كل من:

1. إيصال المشاهد المروعة والأخبار المُفزعة وخطاب الكراهيّة إلى المجتمعات المستهدفة عبر الإشعارات والمواقع الإعلامية ووسائل التواصل الاجتماعي.
2. زعزعة الاستقرار من خلال شبكات العملاء والمرتزقة، وتزييم الوضع المعيشي من خلال الحصار الاقتصادي وسياسة الابتزاز المائي أو الطاقوي.
3. تنفيذ اعتداءات عسكريّة محدودة، عبر تدمير أو تعطيل بعض البنية التحتية الخدمية، وقصف مراكز عسكريّة أو مؤسسات مدنية معينة.
4. أحياناً تلعب المؤسسات الخدمية المحليّة دوراً محّرضاً على الهجرة بسبب ضعف الإدارة الرشيدة نتيجة لنقص الكفاءات أو ضعف النزاهة لدى البعض أو عدم القدرة على توفير الموارد لعمليات التنمية الخدمية المختلفة.

تحرض هذه الأمور عادة على القلق الذي ينشأ عن التوقع لخطر محتمل، ويعدّ أحد المصادر الأساسية للخوف؛ وقد تبيّن أنه كلما زاد مستوى القلق كلما مال الفرد إلى التطرف في الاستجابة، يدفعه القلق للبحث عن التعويض والأمان من أجل تبديد هذا القلق؛ والمبالغة في القلق يتسبّب في انعدام الأمان النفسي والنظر إلى العالم على أنه مصدر للتهديد. ويتفشى القلق مع ازدياد العدوانية واليأس وانعدام مشاعر الأمان في البيئة المحيطة، الأمر الذي يولّد الخوف، ويدفع الأنسان إلى القيام بسلوك ما كمغادرة تلك البيئة.

أما الخوف فهو كالقلق، له بعد ذاتي وأخر موضوعي؛ فتفكير الإنسان يستحضره بفعل مؤثر خارجي مُقلق؛ ويعتبر الخوف دافعاً طبيعياً يتولّد داخل الإنسان، تحرضه على حماية نفسه والدفاع عنها، بأي وسيلة تحقق له العيش بأمان وفقاً لاعتقاده. ويُعرّف الخوف⁽¹⁹⁾ بأنه "رد فعل في جسم الإنسان، في مواجهة شيء يهدّد سلامته...". ورد الفعل هذا يكون عادة حالة إنفعالية يشعر بها الإنسان بمستويات مختلفة وبدرجات متعددة، حسب المؤثر.. وينجمس الخوف في مشاعر الإنسان أثناء محاولته الاستجابة للقضايا التي يولّدها الفقر والجهل والقهر السياسي؛ حيث أن الرغبة في حماية النفس، وتأمين الأمن للمقربين، ومواجهة التهديدات المفاجئة يجعل النفس أحياناً تستسلم لمشاعر الخوف، وبالتالي قابلية النزوح إلى الهجرة، إلا أن من يضع الإنسان في موقف كهذا بشكل متقصد يحوّل الخوف إلى الدافع الأكثر تأثيراً في عملية التهجير، الأمر الذي ينفي نسبياً دوره في حدوث الهجرة الطوعية في وقتنا الراهن. وبحسب وكالة الأمم المتحدة للإغاثة⁽²⁰⁾ في عام 2019م، نزح 70.8 مليون فرد داخلياً نتيجة للاضطهاد أو النزاع أو العنف المعمم أو انتهاكات حقوق الإنسان وكلها أمور تثير القلق والخوف في نفوس من يتعرض لها.

أما اليأس فيتولّد من عدم قدرة الشخص على الاستجابة الإيجابية لبيئته والتشاؤم من المستقبل، ومن أبرز مظاهرها:

¹⁹ د.صموئيل حبيب، الخوف، الناشر: دار الثقافة- القاهرة، الطبعة الأولى/1989؛ ص.9.

²⁰ صندوق الأمم المتحدة للسكان(الدول العربية)/ JNFP، الهجرة، الرابط: <https://arabstates.unfpa.org/ar/topics/hijra>

- عدم الرغبة في التأقلم مع الواقع السياسي القائم لأسباب أيديولوجية.
- أو صعوبة التكيف مع الوضع الاقتصادي القائم بعد فقدان مصدر الرزق على سبيل المثال أو بسبب الانخراط في أعمال شاقة جسدياً أو ذهنياً، أو نتيجة لفقدان الأمن الوظيفي أو صعوبة تأمين المسكن.
- أو العجز عن التعامل البناء مع التحديات ومواجهة التهديدات.

واليأس عادة يعد نتيجة حتمية لدى الفشل في معالجة أسباب القلق والخوف، وتقود إلى السخط على الواقع المعاش، ويتم إيجاد قناعات تبرر الهجرة، إلا أنها من حيث المبدأ تعد عاملاً من عوامل الهجرة القسرية غير المباشرة في المناطق التي تستهدفها المشاريع الأيديولوجية الإقصائية.

ثانياً- سياسة الإرغام على الهجرة من شمال وشرق سوريا. ► الهجرة في شمال وشرق سوريا.

يعتبر السوريون بشكل عام من أكثر اللاجئين مرونة في التكيف مع البيئات التي يجدونها آمنة، بسبب ما تعرضوا له من قهر سياسي وظلم اقتصادي، وتبخيس قيمة مهاراتهم واجتهادهم في العمل من قبل الأوليغارشية المحلية التابعة للنظام السوري والجماعات المتطرفة السورية، بالإضافة إلى طموحات البعض منهم في تحقيق ذاتهم المتأثرة بالقوة الناعمة لدولة المهاجر سواء بالعمل أو بالتحصيل العلمي، لذلك نجد سرعة تقبل الدول لاحتواهم ودمجهم في مجتمعاتهم ومنحهم هوياتها الوطنية.

كما هو معلوم تحاول الدول الصناعية حماية نفسها من الأزمات الاقتصادية، وخاصة تلك المتعلقة بنقص اليد العاملة وال الحاجة إلى المزيد من الكفاءات المهنية؛ لذلك تُسخر تقدمها التكنولوجي والاقتصادي ومظاهر الديمقراطية فيها، لإقناع أصحاب الكفاءات والعاطلين وذوي الطموحات والمقدورين والساخطين، على الهجرة إلى هذه الدول والإقامة فيها، حيث تصرف ملايين الدولارات عليهم في سبيل دمجهم في مجتمعات الدول التي لجأوا إليها، ومنحهم هوية الوطن الجديد. وهذا ما تم ملاحظته من قبل معظم الذين فكرروا وأولئك الذين لا يزالون يفكرون بالهجرة من شمال وشرق سوريا وباقى المناطق السورية الأخرى، بسبب تفاقم الأزمة المعيشية في عموم سوريا، وغياب أفق الحل للأزمة السورية، وتغلغل الفساد الذي تحول إلى وسيلة لدى البعض للاغتناء أو تأمين قوت اليوم، والصراع الأيديولوجي الطائفي وتنامي خطاب الكراهية على أساس عرقية وطائفية ودينية. بالإضافة إلى التهديدات المستمرة ضد عددٍ من المجتمعات المحلية من قبل كل من النظامين التركي والسوسي والفصائل الموالية لكل منها، وتنظيم داعش.

من جهة أخرى بات الجفاف الذي يضرب المنطقة بفعل نقص الهطولات المطرية وخفض تركيا لمنسوب مياه نهر الفرات بشكل غير مسبوق وتجفيفها لنهر الراقي والإيقاف المتواتر لمحطة مياه علوك في ريف سري كانييه/رأس العين التي تحتتها تركيا ومرتفقتها التي حرمـت قرابة 460 ألف فرد على الأقل من إمدادات مياه الشرب بحسب التقرير السنوي لهيومـن رايتس ووتش²¹). كل هذه الأمور صعبـت حـياة السـكان وجعلـتهم يـنجذـبون إلى الإغراءات التي تقدمـها الدول الغـنية، وبـذلك تـصبحـ الهـجرـة لـدىـ الـبعـضـ السـبـيلـ الـوحـيدـ لـلـخـلاـصـ، وـيـبدأـ مـغـامـرةـ الرحـيلـ عـبرـ الـطـرـقـ الـموـحـشـةـ أوـ الـأـمـواـجـ الـهـائـجـةـ أوـ الـمـطـارـاتـ الدـولـيـةـ بـجـواـزـاتـ سـفـرـ مـزـوـرـةـ، وـفـيـ الـكـثـيرـ مـنـ الـأـحـيـانـ يـفـشـلـ فـيـ الـوصـولـ أوـ يـفـقـدـ حـيـاتـهـ فـيـ الطـرـيقـ. إـنـ سـعـيـ بـعـضـ الدـوـلـ لـاستـقطـابـ الـلاـجـئـينـ وـاستـبـدـالـ هـوـيـتـهـمـ الـوطـنـيةـ عـلـىـ الرـغـمـ مـنـ قـدـرـتـهـاـ عـلـىـ الـمسـاـهـمـةـ فـيـ حلـ مشـكـلاتـ بـلـدانـ هـؤـلـاءـ الـلاـجـئـينـ، يـعـدـ شـكـلـاـ مـنـ أـشـكـالـ التـهـجـيرـ، يـمـكـنـنـاـ تـسـميـتـهـ مـجاـزاـيـاـ بـالتـهـجـيرـ النـاعـمـ.

من جانبها تتحمل الإدارة الذاتية جزءاً من المسؤولية في الحد من موجات الهجرة وإعاقة الهجرة القسرية، فمسألة الإهمال الوظيفي تعاني من ضعف الرقابة، الرسمية والمجتمعية والإعلامية، كما أن الإدارة الذاتية لم تتمكن

²¹ سوريا أحداث عام 2020؛ الرابط: <https://www.hrw.org/ar/world-report/2021/country-chapters/syria>

حتى الآن من إيجاد آلية عمل دقيقة لمواجهة وإفشال الدعاية السوداء الموجهة ضدها، وباستثناء الدبلوماسية العسكرية لم تستطع حتى الآن من تعزيز دبلوماسيتها عبر القنوات الثقافية والاقتصادية والحقوقية والتعلمية، لکسبِ رخِمٍ في علاقاتها مع المجتمعات الأجنبية والشركات العابرة للحدود والمحاكم الدولية وجامعات الدول المتقدمة علمياً، وكذلك لا تمتلك سياسة واضحة في إعاقة عمليات التهجير من المناطق المحتلة وعودة المهجريين إلى مناطقهم بشكل آمن. من ناحية أخرى هناك ضعف في استثمار الموارد المتاحة، خصوصاً في مجال الطاقة الشمسية وتحلية المياه الملوثة، ولا يوجد دعم كافٍ للمشاريع الصغيرة والصناعات التجميعية، ولا تشجع الابتكارات والكافئات والامتيازات، ولا تقدم المساعدة الكافية في مجال الرعاية الاجتماعية والصحية. على الرغم من ذلك لا تزال المجتمعات المحلية تراهن على الإدارة الذاتية لتحسين وضعها المعاش، وتعتبرها مؤسسة رسمية بالنسبة لها وأفضل نسبياً من باقي الأنظمة الإدارية الأخرى في سوريا. يلاحظ ذلك من خلال التفاعل مع قراراتها عبر التقىدها، وتنامس المساعدة الخدمية والحماية والتراضي منها. لذلك فإن عدم معالجة هذه المسائل من شأنه أن يدعم عمليات التهجير الناعم.

ومن أجل الوصول إلى تصور واضح عن الهجرة القسرية في شمال وشرق سوريا، بنوعيها المباشر وغير المباشر، من المفيد فهم الموقف العام منها والنظر في بعض الآراء بخصوصها، لتقديم أفكار استناداً إلى ملاحظة حياثاتها، وتحليل نتائج استطلاع الرأي الذي قامت به NRLS عام 2016 وتم اختيار بعض الآراء المتقاطعة والمعلومات العامة بخصوص هذه الظاهرة، وتقديمها بشكل مبسط على شكل إجابات مختصرة لتساؤلات محددة بخصوص الظاهرة، وذلك بالشكل التالي:

- ماهية الهجرة: يعتقد كل من يفكـر بالهـجرة بأنـه سـينـتـقل إلى مكان أـفـضـلـ منـ المـكـانـ الـذـيـ يـقـيمـ فـيـ،ـ وـلـكـنـ فـيـ العـادـةـ يـرـكـزـ عـلـىـ ماـ يـعـالـجـ أـسـبـابـ قـلـقـهـ وـيـهـمـشـ أـشـيـاءـ فـيـ بـيـئـتـهـ قـدـ لاـ تـوـفـرـ فـيـ المـكـانـ الـذـيـ يـهـاجـرـ إـلـيـهـ.
- اتجـاهـ الـهـجـرـةـ: تعدـ الدـولـ الـغـنـيـةـ وـالـقـيـ تـحـرـمـ حـقـوقـ الـإـنـسـانـ نـسـبـيـاـ الـوـجـهـ الـمـفـضـلـةـ لـلـمـهـاجـرـينـ،ـ وـتـأـتـيـ فـيـ الـمـقـدـمةـ الـبـلـدـاـنـ الـأـوـرـوـبـيـةـ وـأـمـرـيـكاـ وـدـوـلـ الـخـلـيـجـ وـكـنـداـ،ـ بـيـنـمـاـ يـخـتـارـ الـذـيـنـ لـمـ يـتـمـكـنـواـ مـنـ تـأـمـيـنـ تـكـالـيفـ الـهـجـرـةـ إـلـىـ تـلـكـ الـبـلـدـاـنـ،ـ التـوـجـهـ إـلـىـ الـبـلـدـاـنـ الـمـجاـوـرـةـ لـيـلـجـأـ إـلـىـ مـخـيـمـاتـ تـرـعـاهـاـ مـنـظـمـاتـ دـوـلـيـةـ أوـ إـلـىـ أـقـارـبـ لـهـ فـيـ تـلـكـ الـدـوـلـ.
- كـيـفـيـةـ الـهـجـرـةـ: يـعـدـ مـنـ يـتـخـذـ قـرـارـ الـهـجـرـةـ إـلـىـ تـأـمـيـنـ مـصـارـيفـ هـجـرـتـهـ لـاجـتـياـزـ حدـودـ الـدـوـلـ بشـكـلـ غـيـرـ قـانـونـيـ فـيـ مـعـظـمـ الـأـحـيـاـنـ مـنـ أـجـلـ الـوـصـولـ إـلـىـ مـقـصـدـهـ،ـ وـدـرـجـتـ الـعـادـةـ فـيـ الـمـنـطـقـةـ عـلـىـ بـيـعـ الـمـمـتـلـكـاتـ أوـ استـدـانـةـ أـمـوـالـ،ـ يـتـمـ دـفـعـهـ إـلـىـ مـهـرـبـ عـرـ طـرـفـ مـوـثـقـ،ـ وـيـتـمـ اـخـتـيـارـ سـبـيلـ الـهـجـرـةـ الـذـيـ يـتـنـاسـبـ مـعـ قـدـرـةـ الـمـهـاجـرـ عـلـىـ دـفـعـ تـكـالـيفـهـ،ـ وـعـادـةـ تـرـاـوـحـ بـيـنـ \$15000 وـ\$25000،ـ بـسـحبـ شـكـلـ الـطـرـيقـ بـرـأـ أوـ بـحـرـأـ أوـ جـوـأـ وـتـزـدـادـ التـكـلـفـةـ كـلـماـ كـانـ الـطـرـيقـ آـمـنـاـ.

- دـوـافـعـ الـهـجـرـةـ: بـحـسـبـ مـاـ يـتـمـ رـصـدـهـ عـلـىـ أـرـضـ الـوـاقـعـ هـنـاكـ مـجـمـوعـةـ مـنـ ذـرـائـعـ الـتـقـدـمـ لـتـبـرـيرـ الـهـجـرـةـ أوـ الـتـهـرـبـ مـنـ الـمـسـاءـلـةـ الـوـجـدـانـيـةـ بـخـصـوصـ الـتـدـاعـيـاتـ الـتـيـ تـسـبـبـهـاـ الـهـجـرـةـ،ـ لـعـلـ أـبـرـزـهـاـ التـذـرـعـ بـالـأـزـمـةـ الـاـقـتـصـادـيـةـ وـسـوـءـ الـخـدـمـاتـ أوـ الـتـعـصـبـ لـمـعـقـدـاتـ سـيـاسـيـةـ مـنـاهـضـةـ لـلـإـدـارـةـ الـذـاتـيـةـ لـشـمـالـ وـشـرـقـ سـورـيـاـ⁽²²⁾ـ،ـ وـهـنـاكـ مـنـ يـتـذـرـعـ بـالـانـبـهـارـ بـثـقـافـةـ الـدـوـلـ الـغـرـبـيـةـ دـوـنـ الـأـخـذـ بـعـيـنـ الـاعـتـبـارـ بـأـنـ تـلـكـ الثـقـافـةـ بـنـتـهاـ شـعـوبـ مـرـتـ بـظـرـوفـ مـشـابـهـةـ نـسـبـيـاـ لـلـظـرـوفـ الـتـيـ يـعـيـشـهـاـ الـمـتـذـرـعـ.ـ وـهـنـاكـ ذـرـائـعـ الـقـلـقـ وـالـخـوـفـ وـالـبـحـثـ عـنـ الـمـعـرـفـةـ،ـ وـالـقـيـ يـمـكـنـ مـنـاقـشـتـهاـ اـسـتـنـادـاـ إـلـىـ الـظـرـوفـ السـيـاسـيـةـ وـالـأـمـنـيـةـ وـالـاـقـتـصـادـيـةـ

- بـشـكـلـ عـامـ تـخـتـلـفـ أـسـبـابـ الـهـجـرـةـ مـنـ شـخـصـ إـلـىـ آخرـ اـسـتـنـادـاـ إـلـىـ الـظـرـوفـ الـتـيـ تـدـفـعـهـ إـلـىـ الـهـجـرـةـ فـيـ سـيـاقـ الـأـزـمـةـ الـسـوـرـيـةـ،ـ وـلـدـىـ تـقـصـيـ أـحـوالـ بـعـضـاـ مـنـ هـاجـرـواـ أـوـ يـفـكـرـونـ بـالـهـجـرـةـ يـمـكـنـ مـلـاحـظـةـ أـبـرـزـ الـأـسـبـابـ وـهـيـ:ـ 1ـ الدـوـافـعـ الـاـقـتـصـادـيـةـ:ـ وـيـعـدـ أـبـرـزـ الدـوـافـعـ بـالـاسـتـنـادـ إـلـىـ اـسـتـطـلـاعـ الرـأـيـ الـذـيـ قـامـ بـهـ الـمـرـكـزـ عـامـ 2016ـ حـيـثـ بـيـنـ نـتـائـجـ اـسـتـطـلـاعـ بـأـنـ غـالـبـيـةـ الـآـرـاءـ تـقـاطـعـتـ عـلـىـ أـنـ الدـافـعـ الـاـقـتـصـادـيـ هوـ السـبـبـ الرـئـيـسيـ لـلـهـجـرـةـ تـلـاهـاـ دـافـعـ الـبـحـثـ

²² لـلـاطـلـاعـ عـلـىـ بـعـضـ مـنـ ذـرـائـعـ هـذـهـ الـفـتـةـ انـظـرـ:ـ رـيـنـاـ نـتـجـيـسـ؛ـ حدـودـ الـاـتـحـادـ الـأـوـرـوـبـيـ تـبـدـأـ مـنـ الـطـرـيقـ "إـمـ 4ـ"ـ فـيـ سـورـيـاـ؛ـ النـاـشـرـ:ـ مـعـهـدـ وـاشـنـطـنـ لـسـيـاسـةـ الـشـرـقـ الـأـلـدـيـ؛ـ تـارـيـخـ النـشـرـ:ـ 26ـ مـاـيوـ 2023ـمـ؛ـ الـرـابـطـ:

<https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/hwd-alathad-alawrwby-tbda-mn-altryq-am-4-fy-swrya>

عن الأمان. وفي عام 2022، كان 90% من السوريين يعيشون تحت خط الفقر وكان ما لا يقل عن 12 مليون سوري من أصل نحو 16 مليوناً من السكان يعانون من انعدام الأمن الغذائي لحسب "برنامج الأغذية العالمي"⁽²³⁾

2. الدافع الأمنية: وتكمّن في كل من القلق والخوف، القلق من خطر لم يقع بعد أو قد يقع، وتعد التهديدات التي تتعرض لها مجتمعات شمال وشرق سوريا من قبل كل من أنظمة الحكم في كل من أنقرة ودمشق، بالإضافة إلى تهديدات التنظيمات المتطرفة مثل داعش ومرتزقة الدولة التركية والقاعدة، وتنامي خطاب الكراهية التي تبثها وسائل إعلام التابعة لكل من النظامين السوري والتركي والإيراني وجماعة الإخوان المسلمين وداعش وجماعات حزبية محلية، ضد كلًا من الإدارة الذاتية وقوات سوريا الديمقراطية وأتباع المعتقدات الدينية المسيحية والإيزدية مصدر قلق بارز لدى البعض.

ومن الأسباب الأخرى للقلق فقدان مصدر الرزق بسبب الجفاف الذي يضرب المنطقة، أو تهجيرهم من مناطقهم من قبل داعش أو القوات التركية أو مرتزقتها.

وهناك الخوف من التعرض للأذى من خطر واقع، وأكثر من تأثر به السكان الذين تعرضت مناطقهم لاحتياج عسكري، من قبل كل من القوات التركية ومرتزقتها وداعش، حيث تسبب الخوف من هذه القوى بموجات نزوح غير مسبوقة في المنطقة، وتحول هذا الخوف إلى مصدر قلق للآخرين في المناطق الأخرى من شمال وشرق سوريا.

3. الدافع السياسية؛ هناك فئة من المهاجرين دفعتهم معتقداتهم السياسية المؤيدة للقوى التي ثبت القلق والخوف في نفوس مجتمعات شمال وشرق سوريا إلى الهجرة، على الرغم من أن معظمهم يمارسون نشاطاتهم السياسية السلمية بحرية في المنطقة طالما أنها لا تتعارض مع العقد الاجتماعي لشمال وشرق سوريا.

- وتبين أن المهاجرين لا ينتهيون إلى فئة اجتماعية أو تعليمية أو اقتصادية أو ثقافية محددة؛ وعادة ما يتم إرسال فرد واحد أو أكثر من العائلة، وبعد الحصول على الإقامة يتم جلب باقي أفراد العائلة عن طريق قانون لم الشمل، وإذا كان المهاجر قاصراً تم إجراءات لم الشمل بسرعة أكبر نسبياً، وأحياناً تهاجر عائلات بأكملها لتوفير الوقت، إلا أن العديد من العائلات لا تحبذ الهجرة ولكنها تفضل هجرة فرد منها بغرض العمل وتقديم الدعم المادي للعائلة عن طريق الحالات المالية. وبحسب استطلاع الرأي عام 2016م تقاطعت النسبة الأكبر للمستطلعة آرائهم على عدم تأييدهم للهجرة، في عينة شمال وشرق سوريا كانت نسبة الإجابة على السؤال "هل تؤيد فكرة الهجرة إلى الخارج؟" كانت النتيجة (86.1% لا) وعينة إقليم كردستان "هل تشجع من تبقى داخل روجافا على الهجرة؟" كانت النتيجة (91.7% لا) أما عينة تركيا وشمال كردستان "هل تشجع من تبقى داخل روجافا على الهجرة؟" كانت النتيجة (72.1% لا) بينما عينة أوروبا "هل تشجع من تبقى داخل روجافا على الهجرة؟" كانت النتيجة (57.5% لا)

- وتزداد موجات الهجرة أثناء تصاعد الهجمات على المنطقة، أو تنامي وتيرة الدعاية السوداء ضد الإدارة الذاتية، أو ظهور سبل رخيصة كموجات الهجرة التي أعقبت فتح تركيا لحدودها تجاه أوروبا، أو تضرر أحد موارد الجغرافيا الاقتصادية لشمال وشرق سوريا بسبب ضرب البنية التحتية أو الجفاف.

- وتعدّ الهجرة أحياناً حلّاً مؤقتاً لمشكلات على المستوى الفردي طالما أن الخوف الذي دفع إلى الهجرة كسبب قاهر لا يزال موجوداً، إلا أنه يمكن أن تبرز مشكلات أخرى في البلاد التي هاجر إليها، خاصة في المسائل الاجتماعية والثقافية، وعدم القدرة على الاندماج في المجتمع الجديد المختلف، وصعوبة التكيف مع بيئه العمل الجديدة.

بالنسبة للهجرة القسرية المباشرة؛ فقد تجلت بشكل واضح في المناطق التي احتلتها القوات التركية ومرتزقتها في كل من عفرين وكري سبي/تل أبيض وسري كانييه/رأس العين، ووثقت كلًا من منظمة العفو الدولية والممرصد السوري لحقوق الإنسان ومنظمة حقوق الإنسان في عفرين ومنظمة حقوق الإنسان في الجزيرة ومركز توثيق الانتهاكات في الشمال السوري العشرات من حالات تهجير السكان الأصليين بشتى الطرق المختلفة، ومصادرة

²³ برنامج الأغذية العالمي؛ سوريا؛ الرابط:

https://ar.wfp.org/countries/syria-ar?_ga=2.31880062.1370061897.1671339182-1085815231.1671339182

ممتلكاتهم وبناء مستوطنات للوافدين من المناطق السورية الأخرى، في المراحل الأولى من عمليات التهجير القسري تم قصف المناطق المدنية بشكل متعمد الأمر الذي أدى إلى ترويع المدنيين ودفعهم إلى النزوح من المناطق المستهدفة، وبعد إتمام عمليات الاحتلال بدأت عمليات ترهيب المدنيين عبر الاعتقال التعسفي وسوء المعاملة والتعذيب، ومصادرة الممتلكات والمواسم الزراعية، ولا تزال هذه الانتهاكات مستمرة لتهجير من تبقى من السكان الأصليين⁽²⁴⁾.

► ديناميات الهجرة القسرية في شمال وشرق سوريا.

تفى الأيديولوجيات المناهضة(*) للإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا وراء عمليات الهجرة القسرية بنوعيها المباشر وغير المباشر؛ حيث تمتلك القوى المتبنية لهذه الأيديولوجيات ديناميات⁽²⁵⁾ مختلفة في تسخير ظاهرة الهجرة لإضعاف الإدارة الذاتية من أجل أهدافها السياسية، ولزيادة وتيرة الهجرة تلجلأ هذه القوى إلى بث القلق والخوف واليأس في نفوس المجتمعات المحلية التي نأت بنفسها عن الصراع السياسي والطائفي الذي أحق الدمار باقي المناطق السورية، وأحياناً لجأت إلى عمليات التهجير الممنهج كما حدث أثناء مهاجمة مدن كوباني وقتل تمر والحسكة والرقة ومنبج وغيرها، وبعد احتلال عفرين وسري كانييه/رأس العين وكري سبي/تل أبيض حيث تم تهجير مئات الآلاف من الكرد والإيزديين والمسيحيين والعرب المتعاطفين معهم عن مناطقهم. ومن أجل صياغة تصور بخصوص هذا الأمر هناك مجموعة من الأحداث المتواترة التي استندت إليها ديناميات الهجرة القسرية، ومن المفيد سردتها:

تعد سوريا من البلدان الغنية بالموارد الاقتصادية والثقافات العربية، إلا أنها تعد من البلدان التي تفتقر إلى مبادئ الديمقراطية في ممارسات حكوماتها المتعاقبة منذ تشكيلها كدولة مستقلة، وذلك بالاستناد إلى كل من ضعف الإدارة الرشيدة للموارد الاقتصادية والبشرية، وانعدام الشفافية، وضعف الاستجابة لتداعيات الجفاف والبطالة وتنامي الأوليغارشية، وتعرض عامة الناس لمضايقات أمنية، والتعذيب في مراكز الاحتياز، وتجريم كل سلوك يتنافى مع أيديولوجية حزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم، هذه الأمور وغيرها أضعفت مشاعر الانتماء الوطني، وحقنت نفوس السوريين بمشاعر القلق والخوف، وأشعرت المكونات الأخرى بالاغتراب داخل وطنها، والتي فعلت فعلها في إجبارآلاف الأشخاص إلى الهجرة الداخلية والخارجية؛ وكانت مناطق شمال وشرق سوريا من أكثر المناطق التي عانت من وطأة الظلم والإهمال التنموي اللذان تسببت بهما أنظمة الحكم التي تعاقبت على سوريا. فعلى سبيل المثال جرت عمليات الهجرة والتهجير بشكل متوازي منذ فترة الستينات في إطار ما سمي بمشروع الحزام العربي(**)، حيث قام النظام السوري بنقل وتهجير الآلاف من المكون العربي من مناطقهم في الرقة وريفها بذرية غمر مياه مشروع سد الفرات قراهم وأراضيهم، وإسكانهم في المناطق الكردية في المناطق الحدودية، واستسلامهم أكثر من 700 ألف دونم من الأراضي المصادرة من الفلاحين الكرد، وإقامة قرى نموذجية مزودة بالمياه والمدارس

²⁴ للاطلاع على أحد التقارير المؤثقة انظر: منظمة العفو الدولية، سوريا: يجب على تركيا وضع حد للانتهاكات التي ترتكبها الجماعات الموالية لها والقوات المسلحة التركية ذاتها في عفرين؛ تاريخ النشر: 2018.08.02؛ الرابط:

<https://www.amnesty.org/ar/latest/news/2018/08/syria-turkey-must-stop-serious-violations-by-allied-groups-and-its-own-forces-in-afrin>

* من خلال رصد الوضع السياسي والأمني في شمال وشرق سوريا يمكن تحديد أبرز القوى المتبنية لهذه الأيديولوجيات، وهي: حزب العدالة والتنمية التركي AKP ويتبنى أيديولوجية عثمانية بنزعه قومية تركية. حزب البعث العربي الاشتراكي ويتبنى أيديولوجية عنصرية متشددة. الجماعات السلفية المتطرفة كتنظيم داعش وجبهة النصرة والقاعدة وجيش الإسلام وهي جماعات متخصصة وتحتني أيديولوجية دينية متشددة، وتسعى لإقامة خلافة أو إمارة إسلامية بنزعه مذهبية (سننية) وقومية عربية. جماعة الإخوان المسلمين وتحتني أيديولوجية دينية براغماتية وتسعى لإقامة دولة إسلامية بنزعه مذهبية (سننية) وقومية عربية. جماعة الولي الفقيه وتحتني أيديولوجية دينية متشددة، وتسعى لإقامة حكومة إسلامية عالمية بنزعه مذهبية (شيعية) وقومية فارسية. وهناك مجموعة من الأحزاب والجماعات الموزعة في ولايتها بين تلك الأيديولوجيات من كردية وعربية وسورية إلا أنها لا تمتلك جاذبية لدى المجتمعات المحلية، كما أن المشروع الثقافي السياسي لكل واحدة من هذه الأيديولوجيات لا يلائم ثقافة المجتمعات المحلية، وقد فشلت معظم المجتمعات في مشاريعها، وعلى أرض الواقع لا يمكن تحديد أية مؤشرات تعبر عن الثقافة العثمانية أو البعشية أو الداعشية إلا لدى بعض الأشخاص المتعصبين أيديولوجياً لها...

²⁵ دينامية الجماعة: هو مصطلح يشير إلى نظام من السلوكيات والعمليات النفسية التي تحدث داخل مجموعة اجتماعية نفسها... ويمكن تعريف دينامية الجماعة كمجال دراسة يركز على تطوير المفاهيم حول طبيعة الجماعة، والقوانين التي تحكم في تطورها وعلاقاتها المترابطة مع الأفراد ومع الجماعات الأخرى والمسلمات التي تتعلق بها... الدينامية: حالة الدفق والأنشطة المتماسكة والمنتسبة والمجتمعية التي تؤدي إلى تحقيق هدف الجماعة على النحو المتواخي... ويكيبيديا. الموسوعة الحرة؛ قوة محركة للجماعة.

والحماية الأمنية، تم فيها توطين أكثر من أربعة آلاف أسرة عربية من محافظة الرقة؛ حيث امتد الحزام بطول 300 كيلو متر وعرض 15-10 كيلو متر، من الحدود العراقية في الشرق إلى سري كانييه/رأس العين في الغرب. وتمت ممارسة سياسة أمنية قمعية لعل أبرز مظاهرها الإحصاء الاستثنائي الذي أجري في محافظة الحسكة بتاريخ 10.05.1962 بموجب المرسوم التشريعي رقم (93)، وحرّم آنذاك (150) ألف كردي من الجنسية السورية، وتم تصنيفهم تحت مسمى "الأجنبي" وقيدوا بهذه الصفة في السجلات المدنية في المحافظة وبعض منهم لم يرد لهم أسماء في سجلات الإحصاء وتمت تسميتهم "مكتومي القيد" الذين جردوا تماماً من حقوقهم المدنية؛ حيث حرموا من العمل داخل المؤسسات الحكومية وتجردهم من حق الانتخاب وحرمانهم من امتلاك الأراضي والعقارات، وعدم الاستفادة من الضمان الصحي والبطاقة التموينية، والاستفادة في المشافي والنقاط الطبية، وحجز الفنادق، وصولاً إلى سلك التعليم حيث لا يحق لمكتومي القيد الحصول على وثائق الشهادة الإعدادية والثانوية أما الأجانب فقد كانوا محرومين من الدراسات العليا، كما وتم منعهم كباقي الكرد من التحدث بلغتهم الخاصة ومنع الموسيقى والأغاني الكردية والاحتفال بعيد النيروز القومي، وكانت هذه السلوكات كفيلة بفتح باب الهجرة أمام الآلاف من الكرد إلى الخارج بحثاً عن القيم الإنسانية، وقد ورث الكرد هذه الصفة إلى الجيل المتعاقب له ليبقى ذلك الجيل أيضاً بعيداً عن حقوقه الأساسية للعيش بأمان وليبقى باب الهجرة مفتوحاً أمامهم⁽²⁶⁾؛ بالتزامن مع التوزيع غير المتكافئ للموارد والخدمات والفرص على مستوى البلاد، وتهميشه عمليات التنمية الاقتصادية في شمال وشرق سوريا، خاصة مع ارتفاع حدة الجفاف في المنطقة بمطلع العام 2008، وبالتزامن مع تحرير الحكومة أسعار بعض المنتجات الزراعية ورفع سعر المحروقات، انهارت الزراعة في مقاطعة الجزيرة، وفقاً لما ذكرته الأمم المتحدة فقد تعرضت 60% من الأراضي السورية و1.3 مليون شخص، معظمهم من مقاطعة الجزيرة، إلى أضرار وخيمة بسبب الجفاف؛ وطبقاً للاتحاد الدولي للصليب الأحمر والأمم المتحدة، فإن ما يزيد عن 800 ألف شخص فقدوا موارد رزقهم بالكامل؛ أجبرت الآلاف من المكون الكردي وكذلك العربي الذين يعتمدون على الزراعة كمصدر لرزقهم على الهجرة إلى المحافظات البعيدة أو إلى خارج البلاد.

لقد أصبح القلق من الفقر أو الكراهية، والخوف من الملاحقات الأمنية والاعتقال التعسفي، هاجساً لدى شريحة كبيرة من أفراد المجتمعات المحلية في شمال وشرق سوريا، وفي الغالب لم يعد لديها سوى خيارين، إما التماهي مع البيئة المحيطة أو مسairتها، أو الرحيل إلى بيئة آمنة نسبياً، ومعظم الجاليات السورية الحديثة حول العالم ظهرت بفعل اتخاذ قرار الرحيل، أما من بقي فتفرقوا بين متماه مع السلطة ومحارض خفي للنظام السياسي في سوريا. واستناداً إلى إصرار النظام السوري في الاستمرار بالعمل وفقاً لعقيدته السياسية والأمنية، التي عززت مشاعر القلق والخوف في نفوس المواطنين، لم يعد بالإمكان وصف مغادرة الناس لمناطقهم بسبب هذه العقيدة إلا كسياسة تهجير منهجة.

مع اندلاع أعمال العنف وتنامي خطاب الكراهية في سياق الأزمة السورية التي بدأت عام 2011، تناولت مشاعر القلق والخوف بشكل مضطرب، وبلغت ذروتها مع الصعود الدراماتيكي لتنظيم داعش عام 2014 الذي رفع مستويات العنف إلى حد التوحش، وباتت عمليات قطع الرؤوس وحرق البشر والقتل الجماعي والاستعباد الجسدي والجنسي وتفجير المفخخات في الطرقات، مشاهد دارجة في الفضاء الإعلامي المحلي، وتسببت بمقاصمة مشاعر القلق والخوف بشكل بالغ، خاصة لدى الإيزيديين والمسيحيين والعلمانيين والصوفيين واتباع المذاهب السنّية الأخرى، حيث قام التنظيم بتغييرهم جمِيعاً، الأمر الذي شرع قتلهم وجواز انتهاك حقوقهم، مما وضع من تبقى من أفراد المجتمعات المحلية مجدداً أمام مفترق طرق، فإما التماهي مع البيئة المحيطة الجديدة أو مسairتها، أو الرحيل إلى بيئة آمنة نسبية، إلا أنه في هذه المرة اختارت شريحة واسعة من المجتمعات المحلية خياراً آخر، وهو البقاء

²⁶ ليلى سوار وروجين شاويش، الهجرة/أسبابها وتداعياتها – الهجرة الكردية، الناشر: مجلة دراسات كردية العدد 8 تاريخ: خريف 2016م.

** يعد مشروع الحزام العربي من السياسات المضطهدة التي طبّقت ضد الكرد في سوريا، تلك السياسة التي أتبعتها نظامبعث في عهد الرئيس حافظ الأسد، وهو مشروع يعود إلى عهد الوحدة بين سوريا ومصر وعرب هذا المشروع هو ضابط المخبرات (محمد طلب هلال) الذي أقرنه الحكومة السورية في عام 1965م، والذي يهدف إلى تفريغ مقاطعة الجزيرة أو محافظة الحسكة من السكان الكرد الأصليين واستيطان مجموعات عربية بدلاً عنهم بهدف التغيير الديمغرافي في المنطقة، وإحداث فتنة عرقية بين الكرد والعرب.

والمقاومة، لخلق بيئتها الآمنة الخاصة بها، وهو الخيار الذي أسس كل من الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا وقوات سوريا الديمقراطية؛ إلا أن شريحة واسعة من الأفراد والعائلات اضطرت إلى النزوح عن مناطقها بدافع القلق والخوف، حيث انطلقت موجات ضخمة من اللاجئين انقسمت أمام مفترق طرق، طريق باتجاه المناطق الأخرى الآمنة في شمال وشرق سوريا، وطريق آخر باتجاه البلدان المجاورة ومنهم من سلك الطرق الخطيرة للوصول إلى البلدان الأوروبية، كل منهم يحمل ذكرياته وأمنياته بحياة أفضل، مديرًا ظهره لآلاف النفوس الباقة وراءه التي كابت الأسى على رحيله.

واستناداً إلى اصرار تنظيم داعش في الاستمرار بالعمل وفقاً لعقيدته السياسية والأمنية المتطرفة، التي تعزز مشاعر القلق والخوف في نفوس المواطنين، لم يعد بالإمكان وصف مغادرة الناس لمناطقهم بسبب هذه العقيدة إلا كسياسة تهجير ممنهجة.

بعد اندحار تنظيم داعش من مدينة الرقة التي كان قد اتخذها عاصمة لسلطته، وبينما كانت التوقعات تتجه باتجاه حلول السلام في المنطقة، سارعت الدولة التركية بعقد صفقات سياسية مع النظام السوري وحلفائه، تسببت بموجات نزوح غير مسبوقة على مستوى البلاد، حيث تم تهجير الآلوف من عناصر الفصائل المسلحة المعارضة وعائلاتهم من درعا ودمشق وحمص وحلب باتجاه شمال سوريا التي سيطرت عليها القوات التركية، بعد أن قامت بعمليات غزو للمناطق الآمنة في شمال سوريا وأجبرت مئات الآلاف من السكان الأصليين على الرحيل عن مناطقهم وممتلكاتهم، من خلال المبالغة في استخدام القوة العسكرية ضد المناطق التي اجتاحتها، ومن ثم الترحيل القسري لقسم آخر بذرية مقاومتهم لعمليات الغزو وتكتفت الفصائل الموالية لها بتهجير من تبقى عبر المضايق الأمنية والاعتقال التعسفي والتعذيب ومصادرة الممتلكات أو إتلافها بتهم ملفقة؛ واستوطنت مكانهم آلاف المهجرين من المناطق السورية الأخرى، في خيم أو مستوطنات تم بنائها بالمال السياسي تحت ستار الأعمال الخيرية. كما و تعرض الإيزيديون لعمليات اضطهاد دينية وتحويل بعض معابدهم إلى جوامع وبث القلق والخوف في نفوسهم بعد تكفير ديانتهم من قبل فقهاء تركيا ومرتزقتها وداعش، الأمر الذي أجبر المئات منهم على الرحيل عن مناطقهم التاريخية في عفرين وسري كانييه /رأس العين.

لقد تعرض غالبية سكان كلاً من مقاطعة عفرين وكري سبي /تل أبيض وسري كانييه /رأس العين إلى عمليات تهجير قسرية منذ عام 2018م. بالإضافة إلى اضطرار الآلاف إلى الهجرة أو النزوح بسبب هجمات القوات التركية ومرتزقتها على البنية التحتية، المدنية والعسكرية، في مناطق الإدارة الذاتية لشمال وشرق سوريا، لتتسرب هذه العمليات بأضخم عملية تغيير ديمغرافي لم تشهدها شمال وشرق سوريا من قبل.

يُلاحظ أن مشاعر القلق والخوف وسياسة الترحيل القسري كانت الأكثر تأثيراً في هجرة مئات الآلوف عن مناطقها في شمال وشرق سوريا، وهذا ما يؤكد على الاعتقاد بأنها ليست سوى عمليات تهجير ممنهجة الهدف منها تحقيق أهداف سياسية؛ فالنظام السوري مارس عمليات تطهير ضد معارضيه عبر إبعادهم إلى مناطق لا تشکل تهديداً لسلطته، وتنظيم داعش من أجل تمكين سلطته استطاع من خلال سمعته المرعبة إجبار كل فرد لا يقتنع بأيديولوجيته على الرحيل، والنظام التركي نفذ عمليات تغيير ديمغرافي وإبادة ثقافية بحق الكرد السكان الأصليين في شمال سوريا استناداً إلى ما يقوم به من بناء المستوطنات وسياسة التترىك ومناهضة الثقافة الكردية وهو ما يتم تطبيقه على أرض الواقع في المناطق المحتلة من قبل تركيا.

بسبب التصاعد المتسارع للأزمة السورية واضطرار الآلاف إلى الفرار لم يتم التمكن من تحديد إحصائية دقيقة لأعداد المهجرين بفعل هجمات داعش وتركيا ومرتزقتها، إلا أنه يعد من المناسب تقديم إحصائيات نشرتها موقع دولية وحقوقية على فترات مختلفة، وذلك بالشكل التالي:

- في عام 2014م بالتزامن مع هجمات تنظيم داعش كان هناك أكثر من 225 ألف سوري ممن لجأوا إلى إقليم كردستان العراق أي ما يمثل 97% من اللاجئين السوريين في العراق وأكثر من 90% منهم كانوا من الكرد⁽²⁷⁾ وفي

⁽²⁷⁾ أندريا سود ولويسا سيفيريس؛ الأزمة السورية والتهجير والحماية: السوريون يساهمون في النمو الاقتصادي الكردي؛ الناشر: مركز دراسات اللاجئين وجامعة أوكسفورد- نشرة الهجرة القسرية/العدد 47/أيلول 2014؛ ص 14؛ الرابط:

صيف عام 2014م اضطر نحو 160 ألف كردي سوري من كوباني⁽²⁸⁾ إلى عبور الحدود التركية بعد مهاجمة تنظيم داعش لمدينتهم، ليبلغ عدد الذين اضطروا للهجرة إلى تركيا منذ عام 2011م حوالي 815000⁽²⁹⁾

- في عام 2018م تم تهجير حوالي ثلثي سكان عفرين تقريباً 300000 شخصاً بحسب إحصائيات غير رسمية.
- في عام 2019م بالتزامن مع هجمات جيش الاحتلال التركي ومرتزقته على سري كانييه/ رأس العين وكرى سبي/ تل أبيض اضطر 180000 شخصاً معظمهم من النساء والأطفال إلى النزوح⁽³⁰⁾ ومع انتهاء العمليات العسكرية بلغ عدد مهجري سري كانييه وكرى سبي 400000⁽³¹⁾.

▷ الوسائل الممكنة للحد من الهجرة القسرية.

تكمّن مساعي الحد من الهجرة القسرية بشكل أساسي في معالجة أسبابها؛ وهناك الكثير من الحلول إلا أن بعضها يصعب تطبيقها نسبياً بسبب علاقتها مع العوامل الموضوعية التي سببت الهجرة القسرية، فمثلاً إيقاف الهجمات الإقليمية العنيفة تتجاوز قدرة الإدارة الذاتية ومؤسسات المجتمع المدني، كما أن توفير الرعاية الاجتماعية والرعاية الصحية والسكن اللائق والخدمات العامة في متناول كل شخص يصعب تأمينها بسبب السياسة العدوانية لكل من النظامين التركي والسوري تجاه مجتمعات شمال وشرق سوريا، فال الأول دمر العشرات من البنية التحتية والآخرين يستخدمان نفوذهما الإقليمي والدولي لفرض حصار سياسي واقتصادي على المنطقة؛ أما بالنسبة للهجرة القسرية المباشرة أو عمليات التهجير فيصعب إيقافها من قبل الإدارة الذاتية وقوات سوريا الديمقراطية بسبب الإمكانيات العسكرية الضخمة للنظام التركي الذي يطبق عمليات التهجير بحذافيرها في المناطق المحتلة، وإصراره مع النظام السوري وجماعات الإسلام السياسي على السياسة العدائية تجاه العقد الاجتماعي لمجتمعات شمال وشرق سوريا بالتوالي مع صمت المجتمع الدولي تجاه هذه السياسة؛ بينما الهجرة القسرية غير المباشرة ورغم الصعوبات فيتمكن الحد منها من خلال التقليل من مشاعر القلق والخوف واليأس، وزيادة مشاعر الثقة والالتزام الأخلاقي تجاه المجتمع والوطن؛ في هذا السياق يمكن طرح مجموعة من المقترنات بالاستناد إلى ما تم استنتاجه من آراء عامة الناس المحيطين بفريق الباحثين، ومن هذه المقترنات:

• بالنسبة للهجرة القسرية غير المباشرة:

1. تطبيق مبادئ الإدارة الرشيدة والحدّ من الإهمال الوظيفي في المؤسسات بالاستناد إلى معايير النزاهة والشفافية والكفاءة.
2. التقليل من البيروقراطية وتحقيق السرعة النسبية في إنجاز القضايا والدعوى والمعاملات في مؤسسات إنفاذ القانون والمؤسسات الخدمية الأخرى.
3. تقديم المزيد من الدعم لقطاعات الصحة والتعليم والإسكان، وتشجيع نشاطات التكافل الاجتماعي من قبل المجالس الشعبية لتأمين الإعانات الصحية والمعيشية للمعوزين.
4. صيانة البيئة، والاستمرار في الحد من التلوث البصري والسمعي وغيره؛ لما للتلوث من تأثير نافر على الإنسان.

²⁸ <https://www.onlinelibrary.iihl.org/wp-content/uploads/2021/02/2014-FM-Review-The-Syrian-crisis-displacement-and-protection.pdf>

²⁹ عمر كاراسيان؛ اللاجئون السوريون في تركيا وتفادي تحولهم إلى لاجئين دائمين؛ الناشر: موقع البنك الدولي؛ تاريخ النشر: 2015.02.02؛ الرابط: <https://blogs.worldbank.org/ar/arabvoices/avoiding-permanent-refugee-trap-turkey>

³⁰ المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين؛ عدد اللاجئين السوريين يصل إلى ثلاثة ملايين وسط انعدام الأمان وتدحرج الأوضاع في البلاد؛ تاريخ النشر: 2014.08.29؛ الرابط: <https://www.unhcr.org/ar/54000534a>

³¹ الأمم المتحدة؛ مفوضية اللاجئين: أكثر من 10000 سوري عبروا الحدود العراقية منذ بدء الحملة التركية في شمال شرق سوريا؛ تاريخ النشر: 25 تشرين الأول/أكتوبر 2019 الرابط: <https://news.un.org/ar/story/2019/10/1042501>

³² مركز توثيق الانتهاكات؛ عذر جريمة حرب.. ما "التهجير القسري" الذي فرضته تركيا على سكان 3 مدن سورية وتعنى لفرضه على المزيد من المدن الحدودية؟؛ تاريخ النشر: 2023.12.30؛ الرابط: <https://vdc-nsy.com/archives/65878>

5. التقليل من تداعيات الغلاء المعيشى والجفاف على المواطنين من خلال تأمين المزيد من فرص العمل، وتطوير آليات الرقابة المجتمعية والإعلامية على الأنشطة التجارية، ودعم الأفكار والمشاريع الاقتصادية القابلة للتطبيق.
6. غالباً ما يقرر الناس الهجرة عندما لا يستطيعون تلبية احتياجاتهم الأساسية في مجتمعاتهم المحلية بحسب منظمة الغذاء العالمي (32)، وللتقليل من دوافع الهجرة المترسبة بفعل التدهور البيئي والافتقار إلى العمالة الريفية الائقة وتأثيرات تغير المناخ، بما في ذلك الكوارث، وغزو الآفات، من المفترض دعم الوسائل الضرورية لأعمال المزارعين والتخفيف من آثار تغيير المناخ ودعم الوصول إلى الخدمات الريفية. كما ويجب تنفيذ مشروع استجرار مياه نهر دجلة وإتباع سياسة مائية أكثر كفاءة للاستجابة الفعالة لكارثة الجفاف.
7. تكثيف التواصل بين القائمين على مؤسسات الإدارة الذاتية والمجتمع، وإحاطة الرأي العام بشكل مستمر بالمستجدات الاقتصادية والسياسية والأمنية التي تشهدها المنطقة، للحد من تأثير البروباغندا السلبية.
8. تأمين الرعاية الضرورية للمهجرين من المناطق المحتلة، والتقليل من مشاعر الإحباط لديهم، والحفاظ على موروثهم الثقافي
9. معالجة الخلافات السياسية المحلية وتحديد الرأي العام عن المخاصمات الحزبية، وفسح المجال أكثر للمعارضة السياسية البناءة.
10. بذل المزيد من الاهتمام بالفئة الشابة من خلال دعم مؤهلاتهم ومساعدتهم في تأمين المسكن والرعاية الصحية وتوفير فرص العمل والخدمات الترفية، وتحفيزهم على المشاركة في الحياة السياسية والثقافية والاجتماعية في المنطقة.
11. إنشاء هيئة خاصة بشؤون المهاجرين والمهجرين.

• بالنسبة للتهجير:

1. تنمية العلاقات الدبلوماسية مع المجتمعات البلدان الأخرى على غرار التجربة مع كتالونيا، وتعزيز التواصل الثقافي لمجتمعات شمال وشرق سوريا مع تلك المجتمعات، لما لذلك من دور مهم في دعم الجهود الدبلوماسية للضغط على الحكومات الداعمة للدول التي تستهدف مجتمعات شمال وشرق سوريا أو يمكنها ممارسة تأثير على تلك الدول للضغط عليها لإيقاف عمليات التهجير، وكذلك يتوجب تحقيق التواصل مع مجتمعات المناطق التي تسيطر عليها القوى السورية الأخرى المناهضة للإدارة الذاتية من نظام ومعارضة، من خلال فتح باب التداوي والتعليم والزيارات الاجتماعية والنشاطات الاقتصادية في شمال وشرق سوريا.
2. دراسة الأسباب الكامنة وراء عدم قيام المنظمات والمؤسسات الدولية، الحقوقية والقانونية، بمسؤولياتها والتزاماتها المؤطرة بالمواثيق الحقوقية، وذلك من أجل تطوير آلية مسائلة ودفع قانونية لردع عمليات التهجير، ومن الضروري جداً تأسيس مركزاً مختصاً بالدراسات والتوصيات الحقوقية، من أجل رفد النشاطات الدبلوماسية للإدارة الذاتية ومجلس سوريا الديمقراطي بالاستشارات القانونية والحقوقية.
3. إعادة النظر في العلاقات السياسية والعسكرية القائمة مع جميع الأطراف المحلية والإقليمية والدولية، وإعطائهما زخماً جديداً يتناسب مع تحديات المرحلة.

○ الخاتمة.

نستنتج مما سبق بأن ظاهرة الهجرة في شمال وشرق سوريا تعد إشكالية ذات أبعاد سياسية واجتماعية، تثير تساؤلات أخلاقية ووجودانية. أحياناً يكون الفرد مجبأً على الهجرة للحفاظ على هويته وثقافته وحياته ومعيشته، إلا أنه يبقى ملتزماً ومتمسكاً بثقافته وقدراً على خدمة وطنه بشكل من الأشكال، أما بالنسبة لذوي النزعة البراغماتية الفردية عادة لا يمتلكون التزاماً وجданياً تجاه مجتمعاتهم فهم ينتهزون أية فرصة لصالحهم، ويمكنهم ببساطة أحياناً التخلّي عن هويتهم وثقافتهم لصالح ثقافة أخرى لقاء منفعة ما قد لا تكون ناجمة عن حاجة طارئة؛ على الرغم من ذلك تتسبب هجرتهم بمشكلات كبيرة لأوطانهم خاصة من ذوي الخبرات والكفاءات العلمية والحرفية، وأصحاب

³² منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة/ بوابة دعم السياسات والحكومة؛ الهجرة؛ الرابط: /https://www.fao.org/policy-support/policy-themes/migration/ar

رؤوس أموال يمكن استثمارها. لذا فإن الموقف من الهجرة دائمًا ما يؤخذ استناداً إلى مصلحة المجتمع ومدى متانة الرابطة المعنوية بين الفرد ومجتمعه، وبين الذهنية والمكان، التي شكلتها الثقافة المجتمعية منذ نشوء هذا المجتمع، حيث نجد المئات ممن قاوموا المشاعر المترحضة بفعل الخوف والقلق والمعتقدات السياسية وامتنعوا عن الهجرة، وأثروا البقاء داخل أوطانهم، وبفضلهم تم استباب الأمن نسبياً في المنطقة وإدارة الشأن العام بحسب الإمكانيات المتاحة، وأصبحت الحياة ممكنة في شمال وشرق سوريا، ولا يزال آلاف المهجرين والتازحين في شمال وشرق سوريا متذمرين بأمل العودة إلى ديارهم، بعضهم اصطحبوا مفاتيح منازلهم وأكثريتهم ذكرياتهم التي لن تنسى.

في أغلب الأحيان تتسبب الهجرة بمشاكل كبيرة في المجتمعات التي يهاجر منها أعداد كبيرة من أفرادها، وخاصة أصحاب الكفاءات العلمية والحرفية، وتعقد المشكلة بشكل كبير مع هجرة الأشخاص القادرين على الدفاع عن مجتمعاتهم في حال تعرض هذه المجتمعات لخطر وشيك؛ وتأتي في مقدمة هذه الأخطار عمليات التطهير العرقي بمختلف أشكالها من إبادة جماعية أو إبادة ثقافية. ومهما يكن، تشكل الهجرة والتهجير تهديداً على كل من الأمن الإنساني والوجودي في شمال وشرق سوريا بأبعاده الثقافية والديمغرافية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية؛ وهناك حاجة لإيقافها كونها تهدد الثقافات الأصيلة في المنطقة من كردية وسريانية وعربية وأرمنية وآشورية؛ ويُعرض المجتمعات المحلية لخطر الإبادة الجماعية والثقافية. قد يتم التسامح مع حالات معينة من الهجرة التي تعد نتيجة لظروف قاهرة أو تلك التي تكون مؤقتة، إلا أن التذرع بأسباب يمكن الصبر عليها أو التكيف معها أو يمكن معالجتها، لا تشكل مبررات للهجرة من الناحية الأخلاقية وال وجودانية والثقافية.

○ المصادر والمراجع.

1. د. أيمن زهرى؛ **الهجرة الدولية/ الحالة المصرية**؛ الناشر: المجلس القومى للسكان/ وزارة الصحة والسكان المصرية - 2020؛ بلا رقم طبعة.
2. جوزيف س. ناي؛ **الفقرة الناعمة، وسيلة النجاح في السياسة الدولية**؛ ترجمة: د. محمد توفيق البجيري؛ الطبعة الأولى - 2007؛ الناشر: العيikan للنشر - الرياض / المملكة العربية السعودية.
3. شبكة الصليب الأحمر والهلال الأحمر لنقاط الاتصال حول الهجرة فيإقليم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا؛ التقرير الإقليمي الأول حول الهجرة في إقليم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا؛ الناشر: شبكة نقاط الاتصال حول الهجرة - إقليم الشرق الأوسط وشمال إفريقيا/ 2021م.
4. د. صموئيل حبيب؛ **الخوف**؛ دار الفاكهة؛ الطبعه الأولى/ 1989؛ ص9.
5. عبد الله حسين؛ **تاريخ ما قبل التاريخ**؛ الناشر: مؤسسة هنداوي - المملكة المتحدة/ 2012؛ بلا رقم طبعة؛ ص90.
6. ليلى سوار وروجين شاويش؛ **المهجرة وأسبابها وتداعياتها - الهجرة الكردية** (بالإضافة إلى استطلاع للرأي)؛ الناشر: مجلة دراسات كردية العدد 8 تاريخ خريف 2016.
7. مایکل کرانغ؛ **الجغرافیا الثقافیة/ أهمیة الجغرافیا فی تفسیر الظواہر الإنسانیة**؛ ترجمة: د. سعید منتاق؛ الناشر: عالم المعرفة - الكويت / 2005؛ بلا رقم طبعة.
8. د. موسى سمحى؛ **الهجرة القسرية: التعريف، التصنیف، الأنماط، الدوافع، التیارات والأثار**؛ الناشر: الجامعة الأردنية / 1989؛ بلا رقم طبعة.
9. **الموقع الإلكترونية بحسب تسلسلها في البحث:**
 1. Human Rights Watch؛ سوريا: الغيتو الروسي سيغلق شريان الإغاثة الأخير؛ تاريخ النشر: 10 حزيران 2021م؛ الرابط: <https://www.hrw.org/ar/news/2021/06/10/378875>
 2. معجم المعاني (الإلكتروني)؛ **تعريف ومعنى هجرة في معجم المعاني الجامع - معجم عربي عربي**؛ الرابط: <https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/>
 3. موقع الأمم المتحدة؛ **الهجرة/ قضایا عالمیة**؛ الرابط: <https://www.un.org/ar/global-issues/migration>
 4. منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة؛ **الهجرة**؛ الرابط: <https://www.fao.org/migration/ar>
 5. منظمة الأغذية والزراعة للأمم المتحدة/ بوابة دعم السياسات والحكومة؛ **الهجرة**؛ الرابط: <https://www.fao.org/policy-support/policy-themes/migration/ar/>
 6. الإتحاد الدولي لجمعيات الصليب الأحمر والهلال الأحمر CIFRC؛ **الهجرة والنزوح**؛ الرابط: <https://www.ifrc.org/ar/>

7. المفوضية السامية لحقوق الإنسان والهجرة؛ لمحة عن الهجرة وحقوق الإنسان؛ الناشر: مكتب المفوض السامي/ الأمم المتحدة؛ الرابط: <https://www.ohchr.org/ar/migration/about-migration-and-human-rights>
8. إبراهيم دراجي؛ اللجوء والنزوح والهجرة؛ الناشر: الموسوعة العربية، بلا رقم طبعة وتاريخ نشر؛ الرابط: <https://arab-ency.com.sy/law/details/25685/6>
9. موقع الأمم المتحدة؛ اللاجئون والمهاجرون- تعاريف؛ الرابط: <https://refugeesmigrants.un.org/ar/definitions>
10. صندوق الأمم المتحدة للسكان(الدول العربية) / JNFP؛ الهجرة؛ الرابط: <https://arabstates.unfpa.org/ar/topics/%D9%85%D9%87%D9%82%D8%A7%D9%8A%D8%A9>
11. Human Rights Watch؛ سوريا أحداث عام 2020؛ الرابط: <https://www.hrw.org/ar/world-report/2021/country-chapters/syria>
12. رينا تجليس؛ حدود الاتحاد الأوروبي تبدأ من الطريق "ام4" في سوريا؛ الناشر: معهد واشنطن لسياسة الشرق الأدنى؛ تاريخ النشر: 26 مايو 2023؛ الرابط: <https://www.washingtoninstitute.org/ar/policy-analysis/hwd-alathad-alawrbty-tbda-mn-altryq-am-4-fy-swrya>
13. برنامج الأغذية العالمي؛ سوريا؛ الرابط: https://ar.wfp.org/countries/syria-ar?_ga=2.31880062.1370061897.1671339182-1085815231.1671339182
14. منظمة العفو الدولية؛ سوريا: يجب على تركيا وضع حد للانتهاكات التي ترتكبها الجماعات الموالية لها والقوات المسلحة التركية ذاتها في عفرين؛ تاريخ النشر: 02.08.2018؛ الرابط: <https://www.amnesty.org/ar/latest/news/2018/08/syria-turkey-must-stop-serious-violations-by-allied-groups-and-its-own-forces-in-afrin/>
15. أنوبها سود ولويسا سيفيريس؛ الأزمة السورية والتهجير والحماية: السوريون يساهمون في النمو الاقتصادي الكردي؛ الناشر: مركز دراسات اللاجئين وجامعة أوكسفورد- نشرة الهجرة القسرية/العدد 47/أيلول 2014؛ ص14؛ الرابط: <https://www.onlinelibrary.iihl.org/wp-content/uploads/2021/02/2014-FM-Review-The-Syrian-crisis-displacement-and-protection.pdf>
16. عمر كاراسبان؛ اللاجئون السوريون في تركيا وتفادي تحولهم إلى لاجئين دائمين؛ الناشر: موقع البنك الدولي؛ تاريخ النشر: 02.02.2015؛ الرابط: <https://blogs.worldbank.org/ar/arabvoices/avoiding-permanent-refugee-trap-turkey>
17. المفوضية السامية للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين؛ عدد اللاجئين السوريين يصل إلى ثلاثة ملايين وسط انعدام الأمن وتدحرج الأوضاع في البلاد؛ تاريخ النشر: 29.08.2014؛ الرابط: <https://www.unhcr.org/ar/54000534a>
18. الأمم المتحدة؛ مفوضية اللاجئين: أكثر من 10000 سوري عبروا الحدود العراقية منذ بدء الحملة التركية في شمال شرق سوريا؛ تاريخ النشر: 25 تشرين الأول/أكتوبر 2019؛ الرابط: <https://news.un.org/ar/story/2019/10/1042501>
19. مركز توثيق الانتهاكات؛ عد جريمة حرب.. ما "التهجير القسري" الذي فرضته تركيا على سكان 3 مدن سورية وتنصي لفرضه على المزيد من المدن الحدودية؟؛ تاريخ النشر: 30.12.2023؛ الرابط: <https://vdc-nsy.com/archives/65878>
20. القاموس العملي لقانون الإنساني؛ ترحيل؛ الرابط: <https://ar.guide-humanitarian-law.org/content/article/5/trhyl>
21. ويكيبيديا- الموسوعة الحرة.